

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة المدرّس في الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية محمد بن هادي المدخلي حفظه الله ورعاه

في مسجد بدري العتيبي عصر يوم السبت الموافق ١٢ / ٢١ / ١٤٣٩ هـ

السّلام عليكم ورحمة الله وبركاته، الحمد لله ربّ العالمين، والعاقبة للمتقين، وأشهد ألا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وليّ الصّالحين، وصلى الله وسلّم وبارك على عبده ورَسُوله وصفيّه وخليّله وخيرته من خلقه نبينا محمد وعلى آله وأصحابه وأتباعه بإحسان إلى يوم الدين.

فمرحباً مَعْشَرَ الْإِخْوَةِ، وحيّا الله أبنائِي الكرام إخواناً أحيّة وأبناءً كراماً، ها نحنُ نعودُ إلى مَقَرِّنا (إلى مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلّم)، واللّتي نسألُ اللهَ جَلَّ وَعَلَا بأسمائه الحُسنى وصفاته العُلا أَلَّا يُخْرِجَنَا منها إلا إلى جنّات النعيم.

أيّها الإخوة الكرام، ها نحنُ في هذا اليوم (يوم السبت)، الموافق لِلوَاحِدِ والعشرين، من شهر ذي الحجة الحرام، عامَ تسعةٍ وثلاثين وأربعمائةٍ وألفٍ؛ نعودُ بعدَ أسبوعٍ تقريباً (جمعة) من الحجِّ؛ فإنَّ الجمعةَ الماضيةَ كانت آخرَ أيّامِ التشريقِ، والجمعةُ الفائتةُ بالأمسِ هي تمامُ الأسبوعِ، وغداً سنستقبلُ عاماً دراسياً جديداً، في آخرِ هذه السّنة، أسبوعٌ بقيَ ثم نستقبلُ سَنَةً جديدةً مَعْشَرَ الْإِخْوَةِ.

وهكذا مَعْشَرَ الْأَحِبَّةِ الْأَيّامُ تُطَوّى، والأعمارُ يُنْقَصُ بها منها، والموفّقُ من وَفَّقَهُ اللهُ جَلَّ وَعَلَا لاغتنامِ عُمُرِهِ في صالحِ عَمَلِهِ، فنسألُ اللهَ جَلَّ وَعَلَا أَنْ يجعلَنا وإياكمُ من هؤلاء.

أيّها الإخوة الكرام، إنّ السّنةَ لِلْمُعْتَبَرِ هي بمثابةِ كتابٍ، وأيّامُها صفحاتٌ، فكلما انقَضَتْ سَنَةٌ انقَضَى كتابٌ أو دفترٌ من عُمُرِهِ، ولا يدري كم سيبقى في هذه الدّنيا؟

وَلَكِنَّ الْعَاقِلَ الْمَوْفَّقُ، لَا يَكْفِي الْعَقْلُ وَحْدَهُ، الْعَاقِلُ الَّذِي وَفَّقَهُ اللَّهُ (وَنَسَأَلُ اللَّهَ جَلَّ وَعَلَا لَنَا وَلَكُمْ مِنْ فَضْلِهِ)؛ الْعَاقِلُ الَّذِي وَفَّقَهُ اللَّهُ هُوَ الَّذِي يَعْتَنِي الْأَزْمَانَ فِي صَالِحِ الْأَعْمَالِ الَّتِي تَنْفَعُهُ إِذَا انْقَلَبَ بَيْنَ يَدَيِ الدِّيَانِ؛ فَإِنَّ الْعُقَلَاءَ هُمُ الَّذِي لَا يَنْفَقُونَ مَالًا إِلَّا فِي مُقَابِلِ الْمُنْفَعَةِ، وَمَنْ أَنْفَقَ مَالَهُ فِي غَيْرِ مَا مَنْفَعَةٍ؛ قِيلَ لَهُ: "سَفِيهٌ"، وَالْوَقْتُ أَعْلَى وَأَعْظَمُ مِنَ الْأَمْوَالِ، الْوَقْتُ أَنْفُسُ مَا عُنِيَتْ بِحِفْظِهِ وَأَرَاهُ أَسْهَلَ مَا عَلَيْكَ يَضِيعُ.

فَالْوَاجِبُ عَلَيْنَا مَعَشَرَ الْإِخْوَانِ أَنْ نَعْتَنِي بِهَذَا، وَنَحْرِصَ عَلَى أَوْقَاتِنَا، فَلَا نُنْفِقُهَا إِلَّا فِي صَالِحِ الْعَمَلِ، وَلَنَحْذَرُ كُلَّ الْحَذَرِ مُصَاحِبَةَ الْبَطَالَيْنِ الَّذِينَ لَيْسَ عَنْدهُمْ إِلَّا قِيلٌ وَقَالَ، وَيُسَوِّفُونَ فِي الْأَعْمَالِ، فَلَا هُمْ انْتَفَعُوا، وَلَا تَرَكُوا غَيْرَهُمْ يَنْتَفِعُ، فَإِذَا رَأَيْتَ مِثْلَ هَذَا؛ فَانْصَحْهُ، فَإِنْ قَبِلَ؛ فَهَذَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ أَنْ وَفَّقَكَ وَكَسَبْتَ الْأَجْرَ فِيهِ، وَنِعْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ أَنْ جَعَلَهُ عَاقِلًا رَشِيدًا فَيَقْبَلُ وَيُقْبَلُ عَلَى مَا يَنْفَعُهُ، فَنِعْمَةٌ مِنَ اللَّهِ عَلَيْنَا جَمِيعًا (عَلَى الْاِثْنَيْنِ)؛ عَلَى النَّاصِحِ إِذْ وَفَّقَ ذَلِكَ الرَّجُلَ لِلْهُدَايَةِ عَلَى يَدَيْهِ، وَعَلَى الْمَنْصُوحِ إِذْ وَفَّقَهُ اللَّهُ لِلْاِخْتِارِ، فَهَذَا هُوَ الْوَاجِبُ عَلَيْنَا.

وَإِنَّا (مَعَشَرَ الْإِخْوَةِ الْكَرَامِ وَالْأَبْنَاءِ الْأَحِبَّةِ)؛ إِنَّا نَسْتَقْبِلُ هَذَا الْعَامَ الدَّرَاسِيَّ، وَالْوَاجِبُ عَلَيْنَا جَمِيعًا أَنْ نَكُونَ أَنْشَطَ فِيهِ مِمَّا سَبَقَ؛ لِمَاذَا؟

أَوَّلًا: لِأَنَّنا قَدْ حَمَدْنَا اللَّهَ عَلَى أَنْ مَتَّعَنَا بِالصَّحَّةِ وَالْعَافِيَةِ وَبَلَّغَنَا هَذَا الْمَوْسِمَ الْجَدِيدَ، فَالْوَاجِبُ عَلَى الْعَبْدِ أَنْ يَكُونَ أَعْظَمَ عَزْمًا وَأَشَدَّ حَزْمًا فِي أَلَّا يَضِيعَ عَلَيْهِ مِنْ سَاعَاتِهِ مِثْلُ مَا ضَاعَ عَلَيْهِ سَابِقًا، فَيَتَذَكَّرُ، هَذَا أَوَّلًا.

وِثَانِيًا: أَبْنَاؤُنَا الَّذِينَ يَقْدُمُونَ عَلَى مَدِينَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، سَوَاءً كَانُوا مِنَ الْمُنْتَظَمِينَ بِالْجَامِعَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ أَوْ مِمَّنْ لَمْ يَنْتَظِمُوا بِالْجَامِعَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ؛ هَؤُلَاءِ أَيَّامُهُمْ أَصْبَحَتْ مَحْدُودَةً، فَمَنْ كَانَتْ مَدَّتُهُ أَرْبَعًا وَمَضَتْ سَنَةٌ؛ بَقِيَتْ ثَلَاثٌ، وَمَنْ مَضَتْ سَنَتَانِ؛ بَقِيَتْ مِثْلُهَا، وَمَنْ مَضَتْ ثَلَاثٌ؛ بَقِيَتْ لَهُ سَنَةٌ،

فهو في العدِّ التنازليِّ في كلِّ الأحوال، ومن كان في العدِّ التنازليِّ؛ كلما نقصَ كلما ازدادَ تأهباً للتَّوتُّبِ وللمغادرة، أَرَفَ التَّرحُّلُ غيرَ أنَّ رِكابنا بِرِحالنا لَمَّا تَزَلَّ وَكَأَنَّ قَدِ (كما قال الشَّاعر).

فهذا يَنبَغِي له أن يَزِدَّادَ حِرْصُهُ، وأن يتعاضَمَ اجْتِهَادُهُ؛ لِأَنَّ المَدَّةَ قد قَصُرَتْ عليه، ليست كما كانت من قَبْلُ؛ فيَجِبُ عليه أن يُعَوِّضَ التَّقْصِيرَ بِالْجِدِّ والعملِ الكثيرِ بما بَقِيَ في الوقتِ القصيرِ.

وإنَّ من الجِدِّ والاجتهادِ ملازمةُ حَلَقِ العِلْمِ والكتابِ (إنَّ من الجِدِّ والاجتهادِ ملازمةُ حَلَقِ العِلْمِ والكتابِ)، فلا تُضَيِّعُ الأوقاتُ ولا تُنْفِقُ الساعاتُ إلا في الأعمالِ الصَّالحاتِ.

والعِلْمُ هو أعظمُ مرشِدٍ وأعظمُ دليلٍ للإنسانِ على ما ينفعُهُ في دينِهِ ودُنْيَاهُ.

فَاللَّهُ اللَّهُ مَعَشَرَ الْأَحِبَّةِ، أُوصِيكُمْ ونَفْسِي بِالْاجْتِهَادِ، وَأُوصِيكُمْ ونَفْسِي بِالْحِرْصِ؛ فَإِنَّ الحِرْصَ غيرُ الاجتهادِ؛ أَخِي لَنْ تَنَالَ العِلْمَ وقد كَرَّرْنَا هذا كثيراً إِلَّا بِسِتَّةِ سَأْنِيكَ عَنْ تَفْصِيلِهَا بَيَانٍ، ذِكَاً وَحِرْصٍ وَاجْتِهَادٍ، فَالْحِرْصُ غيرُ الاجتهادِ.

(الاجتهادُ): في الطَّلَبِ والتَّحْصِيلِ، و(الحِرْصُ): على الأوقاتِ في بَذْلِهَا فِيهِ، وَأَلَّا تُذْهَبَ (كما قُلْنَا قَبْلَ قَلِيلٍ).

فَاللَّهُ اللَّهُ مَعَشَرَ الْأَحِبَّةِ في الاجتهادِ والحِرْصِ على الأوقاتِ.

وَاحْذَرُوا مَنْ يُضَيِّعُ عَلَيْكُمْ أَوْقَاتِكُمْ، فَانْصَحُوهُ، فَإِنْ انْتَفَعَ (كما ذَكَرْنَا قَبْلَ قَلِيلٍ) فَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَإِنْ لَمْ يَنْتَفَعْ (فهذا الشَّقُّ الثَّانِي الذي لا يَفُوتُنَا التَّذْكِيرُ بِهِ)؛ وَهُوَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَجْتَنِبُوهُ، فَإِنَّ الجِدَلَ وَإِنْفَاقَ الوقتِ في المِجادَلَةِ؛ هذا يَخْرُجُ مِنْهُ الإنسانُ بِلَا فَائِدَةٍ.

والجدلُ قد بيَّنه أهلُ العلم؛ جدلان: جدلٌ يُرادُ به الوصولُ إلى الحقِّ، وجدلٌ يُرادُ منه الانتصارُ للنفسِ، أما الذي يُرادُ منه الوصولُ للحقِّ؛ فهذا تُعرَفُ علاماته على صاحبه؛ لا بأس أن تجتهدَ معه وتبيِّنَ له.

أما الذي لا يُريدُ إلا الانتصارَ لنفسه أو لمُشربه ومذهبه؛ إياكم، إياكم، إياكم معشرَ الأحبة، معشرَ الأخوة الكرام؛ إياكم وإذهبِ الأوقاتِ معهم.

ثم احرصوا حفظكم الله على صُحبةٍ من يُعينكم على ما تريدون الوصولَ إليه، فلا تصحبوا إلا من يُذكركم بالله حاله، أو يدُلُّكم على الله مقالُه، فالذي يُعينك على سيرك إلى الله وتحصيلك ما ينفعك في الدنيا وينفعك في الآخرة؛ هذا الذي تحرصُ على صُحبته، وهو الصَّاحبُ الصَّالحُ الذي شَبَّهه النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الحديثِ الصحيحِ بقوله: "مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالْجَلِيسِ السُّوءِ كَحَامِلِ الْمَسْكِ وَنَافِخِ الْكَيْسِ، فَحَامِلُ الْمَسْكِ إِمَّا أَنْ يُحْدِثَكَ بِعَطِيكَ هَدِيَّةً، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ تَقْتَبِسُ أَنْتَ تَشْتَرِي، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً".

فهكذا الصَّاحبُ الصَّالحُ؛ إما أن يبتدئك هو بالنصيحة والفائدة، فهذا الذي أهداك، وإما أن تسأله أنت عما يُشكِّلُ عليك إذا كُنْتَ تظُنُّ أن عنده علمًا، فيفيدك، فكأنك اشتريتَ منه؛ لأنَّ الفائدةَ ما خَرَجَتْ إلا بسؤالٍ، فالسؤالُ كأنه المألُ، والعطاءُ هو البيعُ، والثالثة (إذا لم تكن أولى ولا ثانية): فكأنما يكونُ حالكَ معه كحالٍ من يجلسُ إلى صاحبِ المسكِ (بائعِ المسكِ أو حاملِ المسكِ)، فتجدُ منه الرائحةَ الطيِّبةَ، والرائحةُ الطيِّبةُ هي السُّمعةُ الطيِّبةُ، كما يُقالُ: هذا جليسُ فلانٍ صاحبِ المسكِ، إذا جاء من عنده؛ قال له: "ثيابك رائحتها طيِّبةٌ مسكٌ"، انتثرَ عليك من مجالستك له (مجاورتك له)، هكذا الصَّاحبُ الصَّالحُ تأتيك منه الفائدةُ الطيِّبةُ؛ فيقالُ: هذا صاحبُ فلانٍ (الرَّجلُ الصَّالحُ)، صاحبُ فلانٍ (العالمُ)، صاحبُ فلانٍ (العابدُ) (الرَّاهِدُ)، وهكذا، فسُّمعةُ ذاكِ الطيِّبةُ هي بمثابةِ الرِّيحِ الطيِّبةِ التي انتشرتْ من حاملِ المسكِ،

فكما أنَّ رائحة المسك بمجالستِكَ لحاملِ المسكِ تَنْتَقِلُ إِلَيْكَ (إلى ثيابِكَ)؛ فهكذا مصاحبةُ الصَّالحِ تَنْتَقِلُ إِلَيْكَ (إلى عِرْضِكَ) فيُقَالُ: صاحِبُ فلانٍ، فهؤلاءِ تَسْعُدُ بِصُحْبَتِهِمْ.

أَسْأَلُ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مَعَشَرَ الْأَحِبَّةِ بِأَسْمَائِهِ الْحُسْنَى وَصِفَاتِهِ الْعُلَا أَنْ يَجْعَلَنَا وَإِيَّاكُمْ مِمَّنْ قَالَ وَعَمِلَ، وَاسْتَمَعَ فَاتَّبَعَ وَانْتَفَعَ، كَمَا أَسْأَلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنْ يُوفِّقَنَا وَإِيَّاكُمْ لَصَالِحِ الْأَعْمَالِ وَالْأَقْوَالِ، وَأَنْ يُعِينَنَا وَإِيَّاكُمْ عَلَى أَنْفُسِنَا، وَأَنْ يُقَوِّيَ عَزَائِمَنَا فِي سَبِيلِ الْخَيْرِ، إِنَّهُ جَوَادٌ كَرِيمٌ، صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم وَبَارَكَ عَلَى عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَاتَّبَاعِهِ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

[السؤال]

[١] هذا سائلٌ يقولُ: كَتَبَ اللهُ لَكُمْ أَجْرَ هذا اللقاءِ الذي رَأَيْنَا فِيهِ إِخْوَانَنَا بَعْدَ انْقِطَاعِ عَنْهُمْ فِي

هذه الإجازة.

وأقولُ أيضاً: وكتبَ اللهُ لَكُمْ أيضاً الأجرَ؛ إذ تَجَشَّمْتُمْ أَنْتُمْ وَجِئْتُمْ إلى هذا المسجدِ، مسجدِ أَخِينَا الشَّيخِ بدرِ بْنِ سَفَرِ العُتَيْبِيِّ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى وَغَفَرَ لَهُ وَبَنَى لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ بِهِ، فَإِنَّ هَذِهِ الْمَسَاجِدَ بُيُوتُ اللهِ، وَعِمَارَتُهَا فِيهَا الْأَجْرُ الْعَظِيمُ الَّذِي قَالَ فِيهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَنْ بَنَى لِلَّهِ مَسْجِدًا وَلَوْ كَمَفْحَصِ قِطَاةٍ؛ بَنَى اللهُ لَهُ بِهِ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ"، تِلْكَ بُيُوتُ أَذْنِ اللهِ بِأَنْ تُرْفَعَ نَصًّا فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَنِ... إِلَى أَنْ قَالَ: وَمَنْ بَنَى لِلَّهِ مَسْجِدًا بَنَى بَيْتًا لَهُ فِي دَارِ عَدْنٍ رَبَّنَا، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

أَنْتُمْ كَذَلِكَ إِنْ شَاءَ اللهُ لَا تُحْرَمُونَ الْأَجْرَ فِي مَجِيئِكُمْ إِلَى هَذَا الْمَسْجِدِ، كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا جَاءَ إِلَّا مُحِبَّةً فِي لِقَاءِ إِخْوَانِهِ وَحِرْصًا عَلَى ذَلِكَ، فَاسْأَلِ اللهُ جَلَّ وَعَلَا أَلَّا يَحْرِمَنِي وَإِيَّاكُمْ أَجْرَ ذَلِكَ.

أما السؤالُ؛ فيقول: فِي أَيَّامِ الْحَجِّ يَكُونُ الْوَاحِدُ مِنْنا عَلَى هِمَّةٍ عَالِيَةٍ فِي الْعِبَادَةِ كَمَا يَرَى مِنْ إِقْبَالِ النَّاسِ عَلَى الطَّاعَاتِ وَكَذَلِكَ فِي الْأَيَّامِ الْمُبَارَكَاتِ؛ فَكَيْفَ يَحْفِزُ الْعَبْدُ نَفْسَهُ فِيمَا يُسْتَقْبَلُ مِنَ الْأَيَّامِ؟

هذا سؤالٌ وجيهٌ، وَيَحْفِزُ الْعَبْدُ نَفْسَهُ؛ أَوَّلًا: بِحِرْصِهِ عَلَى حِفْظِهِ لِطَاعَاتِهِ؛ فَإِنَّ مِنْ عِلَامَةِ قَبُولِ الطَّاعَةِ الطَّاعَةَ بَعْدَهَا؛ الدَّلِيلُ؟ أَجِيبُوا، {وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ} ^(١)، فهذا دليلٌ على أَنَّ مَنْ كَانَ عَلَى الْهَدَايَةِ قَائِمًا عَلَيْهَا، مُوَظِّبًا عَلَيْهَا، مُلَازِمًا لَهَا؛ يَبْشُرُ، فَإِنَّ مِنْ عِلَامَاتِ ذَلِكَ أَنَّ يَزِيدَهُ اللهُ هُدًى وَيُؤْتِيَهُ تَقْوَاهُ.

^١ _ محمد (١٧).

وَمِنْ عِلَامَةِ السَّيِّئَةِ _ بالعكس والعيادُ بالله _ السَّيِّئَةُ بَعْدَهَا؛ الدَّلِيلُ؟ {فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا} ^(١)، {فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ} ^(٢)، (فَزَادَهُمْ مَرَضًا): السَّيِّئَةُ بَعْدَ السَّيِّئَةِ، نَعُودُ بِاللَّهِ _ النَّفَاقُ _، (زَاغُوا): انحرافُ إلى الباطِلِ، (أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ): زَادَهُمْ انحرافًا عن الحقِّ إلى الباطِلِ.

فهذا حالٌ هؤلاء، وهذا حالٌ هؤلاء، فَانْظُرْ أَيُّهَا الْعَبْدُ الْمَوْفِقُ مِنْ أَيِّ النَّوْعَيْنِ تُحِبُّ أَنْ تَكُونَ؟ والجوابُ وَلِلَّهِ الْحَمْدُ أَنَّهُ مَا مِنْهُ مَنْ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ مِمَّنْ؟ مِنَ الصَّنَفِ الثَّانِي، وَإِنَّمَا يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ مِمَّنْ اهْتَدَى فَزَادَهُ اللَّهُ هُدًى وَآتَاهُ تَقْوَاهُ.

فَمَلَا زِمَةَ الطَّاعَةِ وَالْحَرَصُ عَلَيْهَا؛ هذا هو الذي يَجْرُكُ بِإِذْنِ اللَّهِ وَفَضْلِهِ وَمَنْهُ إِلَى اخْتِيَا؛ لِأَنَّ اللَّهَ قَالَ (كَمَا سَمِعْتُمْ): {زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ} ^(٣).

أما انْصِرَافُكَ عَنِ الطَّاعَةِ وَتَرْكُكَ إِيَّاهَا فِي هَذِهِ الْمَوَاسِمِ إِذَا فَارَقْتَ؛ نَعُودُ بِاللَّهِ مِنَ الضَّلَالَةِ وَمِنْ الزَّيْغِ بَعْدَ الاسْتِقَامَةِ، فَهَذَا مِنْ عِلَامَاتِ الْإِنْتِكَاسِ، وَمِنْ عِلَامَةِ الْخُذْلَانِ، هَذَا أَوَّلًا.

وَمِنْ نَاحِيَةٍ ثَانِيَةٍ؛ الَّذِي يَجْعَلُكَ تَبْقَى عَلَى الْهِمَّةِ الْعَالِيَةِ هُوَ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّكَ إِنَّمَا تَجْمَعُ لِنَفْسِكَ (أَنْ تَعْلَمَ أَنَّكَ إِنَّمَا تَجْمَعُ لِنَفْسِكَ)، فَإِذَا قِيلَ لَكَ: إِنَّ فِي هَذَا الْجَبَلِ بَعْدَ عَشْرَةِ أَمْتَارٍ أَوْ خَمْسَةِ عَشَرَ مِثْرًا كُنُوزًا عَظِيمَةً مِنَ الذَّهَبِ؛ أَتَرَوْنَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ يَخْرُجُ غَدًا بِإِزْمِيلِهِ وَمِطْرَقَتِهِ وَلَا لَأْ؟! يَخْرُجُ بِإِزْمِيلِهِ وَمِطْرَقَتِهِ وَلَا يُبَالِي كَمْ قَطَعَ فِي الْيَوْمِ؛ نِصْفَ مِثْرٍ أَوْ رُبْعَ مِثْرٍ مِنَ الضَّرْبِ فِي هَذَا الصَّخْرِ؛ لِأَنَّ الْهِمَّةَ قَدْ اجْتَمَعَتْ لِلْوُصُولِ إِلَى مَا أَمَامَهُ وَوَعَدَ بِهِ، وَهُوَ الذَّهَبُ الَّذِي فِي بَاطِنِ هَذَا الْجَبَلِ.

^٢ _ البقرة (١٠).

^٣ _ الصف (٥).

^٤ _ محمد (١٧).

فيا لله العجب؛ كَيْفَ نُفَرِّطُ وَيَتَوَانِي مَنْ أَخْبَرَ بِخَبَرٍ كَأَنَّهُ يَرَاهُ: "أَنَّ الْفَوْزَ أَمَامَهُ فِي جَنَّةٍ عَدْنٍ؛
كَيْفَ يَتَكَاسَلُ؟!!!

وَلَكِنْ مَعَشَرَ الْأَحِبَّةِ هُنَا أَمْرٌ مُهِمٌّ، وَهُوَ أَنَّ يَكْلِفَ الْعَبْدُ مَا يُطِيقُ؛ فَإِنَّ الْمُتَنَبِّتَ لَا أَرْضًا قَطَعَ، وَلَا
ظَهْرًا أَبْقَى، فليكن دائمَ العملِ الصَّالِحِ ولو كان قليلاً، وإِيَّاهُ أَنْ يُكْلِفَ نَفْسَهُ فَوْقَ طَاقَتِهَا بِالْعَمَلِ وَلَوْ كَانَ
صَالِحًا كَثِيرًا، لَكِنَّهُ يَنْقَطِعُ بَعْدَ وَقْتٍ يَسِيرٍ، فَهَذَا هُوَ الْأَمْرُ الثَّالِثُ، عَلَيْهِ أَنْ يَأْخُذَ نَفْسَهُ؛ بِمَ؟ يَأْخُذُهَا بِمَا
تَسْتَطِيعُ؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْصَحَ الْخَلْقَ، وَأَصْدَقَ الْخَلْقَ، وَأَرْحَمَ الْخَلْقَ، وَأَشْفَقَ الْخَلْقَ بِنَا
عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَقُولُ: "اكْلُفُوا مِنَ الْأَعْمَالِ مَا تُطِيقُونَ؛ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا"، ويقولُ: "أَحَبُّ
الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّ"، وَعَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا (أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ) تَقُولُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛
تَقُولُ: كَانَ أَحَبَّ الْعَمَلِ إِلَيْهِ مَا دَاوَمَ عَلَيْهِ صَاحِبُهُ وَلَوْ كَانَ قَلِيلًا.

فَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا عَمِلَ عَمَلًا أَتْبَعَتْهُ؛ يَعْنِي: يَسْتَمِرُّ عَلَيْهِ، فَالْعَمَلُ الْقَلِيلُ الدَّائِمُ
خَيْرٌ مِنَ الْكَثِيرِ الْمُنْقَطِعِ.

وَمِنْ أَعْظَمِ الْأَسْبَابِ الَّذِي أَخْتِمُ بِهِ _يَصِيرُ كَمْ؟ أَرْبَعَةٌ_ مِنْ أَعْظَمِ الْأَسْبَابِ الَّذِي أَخْتِمُ بِهِ هُنَا مِمَّا
يُعِينُكَ هُوَ أَنْ تَصْحَبَ الصَّالِحَ؛ فَإِنَّ صُحْبَةَ الصَّالِحِ خَيْرٌ لَكَ فِي دِينِكَ وَدُنْيَاكَ، وَاللَّهُ خَيْرٌ لَكَ، إِذَا لَمْ يَأْتِكَ مِنْهُ
نَفْعٌ؛ مَا يَأْتِيكَ مِنْهُ ضَرَرٌ، وَهَذَا فِي حَدِّ ذَاتِهِ مَكْسَبٌ عَظِيمٌ (حِفَاطٌ عَلَى رَأْسِ الْمَالِ)، الصَّالِحُ إِذَا لَمْ تُحَصِّلْ
مِنْهُ مَكْسَبًا؛ لَا يَأْتِيكَ مِنْهُ أَیْشٌ؟ ضَرَرٌ، وَهَذَا فِي حَدِّ ذَاتِهِ مَكْسَبٌ عَظِيمٌ، فَرَأْسُ الْمَالِ مُحْفُوظٌ، وَهُوَ اسْتِقَامَةٌ
دِينِكَ وَعَدَمُ انْحِرَافِكَ، هَذَا رَأْسُ الْمَالِ، وَ(الْكَسْبُ): الزِّيَادَةُ فِي الْحَسَنَاتِ بِالتَّقَرُّبِ إِلَى اللَّهِ بِتَوَافُلِ الطَّاعَاتِ.

فَالصَّاحِبُ الصَّالِحُ مَعَشَرَ الْأَحِبَّةِ (الصَّاحِبُ الصَّالِحُ) لَهُ أَثَرٌ عَظِيمٌ فِي الْعَبْدِ، فَاحْرِصُوا عَلَى اخْتِيَارِ
مَنْ تَصْحَبُونَ أَشَدَّ مِنْ حِرْصِكُمْ عَلَى خِيَارِ مَا تَأْكُلُونَ.

وَأَسْأَلُ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنْ يَخْتِمَ لَنَا جَمِيعًا بِخَيْرٍ، وَأَنْ يَجْعَلَ أُمُورَنَا إِلَى خَيْرٍ، وَأَنْ يَخْتِمَ لَنَا وَلَكُمْ جَمِيعًا بِخَيْرٍ.

وَإِنْ شَاءَ اللَّهُ مَا يَتَعَلَّقُ بِالْأُورُوسِ، قَبْلَ أَنْ تَسْأَلُونِي أَنْتُمْ، أَنَا أُعْطِيكُمْ إِيَّاهُ؛ لِأَنِّي أَعْلَمُ أَنَّ هَذَا السَّوَالَ يَدُورُ فِي النُّفُوسِ، وَلَيْسَ ذَلِكَ بِعِلْمٍ غَيْبٍ، وَلَكِنْ أَرَاهُ عَلَى صَفَحَاتِ الْوُجُوهِ.

إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى بَعْدَ الْأُسْبُوعِ هَذَا، مَعَ بَدَايَةِ مَطْلَعِ مُحَرَّمِ شَهْرِ اللَّهِ الْحَرَامِ (الَّذِي نَخْتِمُهُ هَذَا الْعَامَ بِشَهْرِ حَرَامٍ وَتَبْتَدِئُهُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ)؛ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى تُبَيِّنُ لَكُمْ: مَا سَتَكُونُ عَلَيْهِ الدُّرُوسُ؟ وَمَا هِيَ؟ وَمَوَاعِيدُهَا؟ إِنْ مَتَّعَنَا اللَّهُ إِلَى الْأُسْبُوعِ هَذَا فِي الْحَيَاةِ.

وَنَسْأَلُ اللَّهَ جَلَّ وَعَلَا أَنْ يُمَتِّعَنَا وَإِيَّاكُمْ عَلَى طَاعَتِهِ، وَإِنْ أَخَذْنَا إِلَيْهِ؛ فَنَسْأَلُ اللَّهَ جَلَّ وَعَلَا أَنْ يَتَوَلَّانا عَلَى حَالٍ مُرْضِيَةٍ، إِنَّهُ جَوَادٌ كَرِيمٌ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ وَبَارَكَ عَلَى عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَاتَّبَاعِهِ بِإِحْسَانٍ^(٥).

^٥ مَا كَانَ مِنْ خَطَا فِي التَّفْرِيعِ فَلَمَّا فِي الْإِنْسَانِ مِنْ قُصُورٍ وَتَقْصِيرٍ، وَالْإِنْسَانُ يَجْتَهِدُ وَيَتَحَرَّى الصَّوَابَ، فَجَزَى اللَّهُ مَنْ فَرَعَهَا خَيْرًا، وَجَعَلَ هَذَا فِي مِيزَانِ حَسَنَاتِهِ، وَكَتَبَ لَهُ الْأَجْرَ وَالْثَوَابَ، وَثَبَّتَهُ عَلَى الْإِسْلَامِ وَالسُّنَّةِ حَتَّى يُلْقَاهُ، اللَّهُمَّ آمِينَ.